هيّا بنا نؤمن ساعة

تأليف

د/عبدالحميد هنداوي
المدرس بكلية دار العلوم
جامعة القاهرة

دار الهدى
ت : ٣٨٣٧٧٧٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

٢٠٠٣/١٤٢٤

رقم الإيداع	٢٠٠٣/١٤٣٨٥

دار الهدى

ت : ٣٨٣٧٧٧٠

بسم الله الرحمن الرحيم

(بين يدي الرسالة)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ **﴿آل عمران﴾**.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ **﴿النساء﴾**.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ **﴿الأحزاب﴾**.

أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد، فمما يهون علي المرء سلوك سبيل الطاعة، والثبات في طريقة الدين، أن يجد لإيمانه حلاوة، وأن يستشعر لطاعته لذة، فتهون عليه صعاب الطريق، وتخف عليه وطأة السير فيه.

ولقد صرنا في زمان أصبح فيه شعور المرء بحلاوة الإيمان ولذة الطاعة، أمراً عزيزاً ؛ وذلك لأن الحياة المادية قد طغت على القلوب، ورنت عليها بثقلها وقسوتها.

وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ ﴿المطففين﴾[1].

ويقول: ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا ﴿٦٣﴾ ﴾ ﴿المؤمنون﴾.

---

١) ﴿ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم ﴾ أي: غطى عليها وحجبها ما كانوا يكسبون من المعاصي، فتصير القلوب محجوبة عن الهداية ،وعن وجود حلاوة الإيمان.

وأصبح القليل من الناس هم الذين يشعرون بهذه الحلاوة، ويجدون تلك اللذة وهم العقلاء الأتقياء من الناس، وهم أهل السعادة والفلاح والنجاح في الدارين.

أما بقية الخلق فقلوبهم في غمرة من الشهوات والشبهات، قد غمرها الباطل فحجبها عن رؤية الحق والخير وغطى عليها ران المعصية فحال بينها وبين لذة الطاعة.

ولقد حفزني علي كتابة هذه الرسالة ما رأيته من سوء حالي، وظلام قلبي عندما يعلوها ذلك الران، فأسأله سبحانه الرحمة والغفران.

كما أني رأيت أن هذا الأمر قد عم بلاؤه، وكثر منه الشاكون من عقلاء المؤمنين، وإنه لأمر يدعو للدهشة والاستغراب، فكما أن المرء يعجب ويدهش حينما يأكل من تفاحة جميلة زاهية ناضجة ثم لا يجد لها حلاوة ولا طعمًا جميلاً، كذلك فإنه ينبغي أن يكون أشد عجباً حينما:

* يصلي فلا يخشع.
* ويقرأ القرآن وعينه لا تدمع.

* ويُذكَّر بآيات الله فلا يتعظ.

* ويُخوَّف بالزواجر والقوارع فلا ينـزجر.

* ويرى ما يلم بأمثاله من العصاة من العقوبة فلا يرعوي[٢].

* وما يتكرر في دهره من المصائب والحوادث فلا يتأثر أو يتعارض عنده أمر الله أو أمر لرسوله ﷺ مع هوى نفسه، فيتبع الهوى، ويعرض عن طاعة ربه.

* أو يرى محنة أو بلاء ينزل بإخوانه المؤمنين، فلا يفرح لفرحهم، ولا يحزن لأحزانهم.

* أو يرى أنه لا يحب أحداً من إخوانه إلا لمصلحة أو منفعة، وأنه لا يستشعر بينه وبين إخوانه رابطة المحبة والولاء والإخاء في الله تعالى.

أو يرى أنه لا يحب الطاعة ولا ينشرح لها صدره، ولا يكره المعصية ولا تنقبض لها نفسه.

فمن كان كذلك، أو كانت به بعض تلك الصفات فليحذر، فإنه قد فقد حلاوة الإيمان، ومن فقد حلاوة الإيمان

---

(٢) يرعوى: أي ينـــزجر.

يوشك أن يفقد الإيمان كلّه، إذ كيف يصبر على شيء لا يستحليه ولا يستعذبه، ولا يجد له لذة ولا حلاوة؟!

ولذا فقد كتبت هذه الرسالة الصغيرة لنفسي أولاً، ولإخواني المؤمنين عسى أن ينالني منهم دعوة صادقة بظهر الغيب، وعسى أن تكون علاجًا لما ذكرته في رسالتي السابقة عن قسوة القلوب، فأرجو أن يكون في حلاوة الإيمان ما يذيب تلك القسوة، فتحلو الطاعة وتطمئن القلوب.

هذا وأسأل الله تعالى أن يثيبني عليها رقة في القلب، ودمعة بالعين، وحلاوة للإيمان، فأسأله سبحانه أن يتقبلها بقبول حسن، وأن يجعل لها ثمرة حسنة وأن يهدى بها من يشاء من عباده، وأن يجزل لنا بها المثوبة في الدنيا والآخرة، إنه سبحانه مولى ذلك، وهو على كل شيء قدير.

وكتب

عبدالحميد أحمد يوسف هنداوي

المدرس بكلية دار العلوم جامعة القاهرة

عفا الله عنه وعن والديه والمسلمين أجمعين

رجب ١٤٢١ هـ

(هيا بنا نذوق حلاوة الإيمان)

عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ: " **ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار** "[٣] .

نلاحظ في هذا الحديث أن النبي ﷺ يشبه الإيمان بثمرة لها حلاوة ومذاق، كتفاحة مثلاً أو غيرها من الفاكهة، ويخبر النبي ﷺ أن وجود حلاوة هذا الإيمان المشبه بتلك الثمرة لا يتاح لكل واحد يدّعي الإيمان، بل لابد لوجود حلاوة ذلك الإيمان من صفات أصيلة ترسخ في قلبه، وهذه الصفات لها علاقة جد وثيقة بحقيقة الإيمان ومعناه، فمن حقق تلك الصفات، وجد حلاوة الإيمان ومن لم يحققها لم يجد حلاوته .

وهذه الصفات راجعة إلى تلك الأمور الثلاثة المذكورة في الحديث وهي :

---

(٣) أخرجه البخاري في (الإيمان)، باب: حلاوة الإيمان (١٦) وفي غير موضع من "صحيحه"، ومسلم في (الإيمان) ، باب: بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان (ح ٤٣).

١ـ أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.

٢ـ أن يحب المرء لا يحبه إلا لله.

٣ـ أن يكره أن يعود في الكفر وما يتعلق به من المعاصي كما يكره أن يلقى في النار.

وهذه الأمور الثلاثة هي ما سوف نفصل الحديث عنها في الصفحات التالية.

أولاً: الأسباب المانعة من وجدان حلاوة الإيمان:

يمكننا أن نحمل الأسباب المانعة من وجدان حلاوة الإيمان في ثلاثة أسباب رئيسية هي:

١ـ عدم التأمل في حقيقة الإيمان.

٢ـ اتخاذ العبادة عادة.

٣ـ علل القلوب وأمراضها.

ولنفصل الكلام في كل واحد من هذه الأسباب:

١ـ عدم التأمل في حقيقة الإيمان:

لعل من أهم أسباب عدم وجدان المرء لحلاوة الإيمان هو عدم تأمله في حقيقة هذا الإيمان، أو عدم معرفته أصلاً لتلك الحقيقة.

حقيقة الإيمان

يلخص العلماء حقيقة الإيمان في أمرين اثنين هما :

أـ التصديق بكل ما أخبر به الرسول ﷺ على الجملة، وعلى الغيب .

بـ الانقياد والاستسلام والمتابعة لكل ما أمر به الرسول ﷺ جملة وعلى الغيب .

والأمران متلازمان، فإذا وجد التصديق اليقيني التام بكل ما أخبر به النبي ﷺ انقادت الجوارح واستسلمت لأوامر الله تعالى وانقادت له بالطاعة وللرسول ﷺ بالمتابعة .

ولن نجد تعريفاً للإيمان، وبيانا لمعناه أوضح مما أخبر به ربنا سبحانه وتعالى في قوله : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ ﴿الأحزاب﴾ .

فالمؤمن الحق هو الذي يستجيب لأمر ربه ـ سبحانه وتعالى ـ ولا يكون له مع أمر الله تعالى اختيار أو إرادة تخالف إرادة ربه سبحانه .

إن شباب المسلمين اليوم وفتياتهم يعرض عليهم أمر الله تعالى في الالتزام بالصلاة أو الحجاب أو غير ذلك فتسمع ردًّا عجيبًا يدل على عدم وقر الإيمان في الصدور فمنهم من يُدعى إلى الصلاة فيقول : ليس لي مزاج الآن للصلاة، أو لست مهيئًا لها.

إذاً فهو يصلي حسب مزاجه وهواه، وليس طاعة وعبودية وانقياداً لله رب العالمين، فأين حقيقة الإيمان في القلوب التي تستشعر مراقبة الله تعالى وسخطه وغضبه من المعرِض عن طاعته، والتي تجعل العبد يستحي من ربه، أن يراه منشغلاً أو معرضاً عن عبادته غافلاً عنها.

كما تجد كذلك من تُدعى إلى الحجاب فتشمئز منه وتنفر وتستحي أن تخالف عادتها في لبس الملابس الخليعة الماجنة، وأن يراها الناس على غير هيئتها التي اعتادوا أن يروها عليها من العري والتبرج والسفور، وكان الأولى بها لو كانت مؤمنة حقة أن تستحي من خالقها الذي وهبها ذلك الجمال وذلك الجسد الفتان فتشكره على نعمته، وتصون تلك النعمة من الابتذال كما أمرها الله تعالى.

ولذا فإننا نجد أن جميع الأوامر والتكاليف الإلهية إنما يوجهها الله تعالى إلى المؤمنين رابطاً بين حقيقة هذا التكليف وبين حقيقة الإيمان التي تقتضي الانقياد والاستسلام لجميع أوامر الله تعالى. وذلك كثير في القرآن فمنه :

قوله تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴿٣٠﴾ ﴾ ﴿النور﴾.

والنداءات التي تربط بين الإيمان والأعمال كثيرة لا تحصى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ ﴿المائدة﴾.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ ﴿البقرة﴾.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴿٨﴾ ﴾ ﴿التحريم﴾.

وهذه النصوص تدلنا على أن كل عمل من أعمال الجوارح لا ينطلق من حقيقة الإيمان المستقرة في القلوب فهو عمل مبتور من الخير، فالإيمان هو القاعدة والمنطلق لجميع أعمال الخير والطاعات.

أما حينما تقام تلك الأعمال بغير تحقيق هذه القاعدة وذلك الأصل فإنها تكون صورة بلا حقيقة، وجسداً بلا روح، ولفظاً بلا معنى.

وحينئذ لا يمكن لتلك الأعمال أن تدوم وتستمر إلا إذا كانت تنطلق من قاعدة أخرى تحقق لصاحبها نفعًا ماديًّا بديلاً.

فقد تنطلق أعمال الخير من قاعدة الرياء والمباهاة، وحينئذ لن يذوق المرائي حلاوة الطاعة، ولذة الإيمان، إنما يحصل على لذة أخرى أشبه بلذة الشره إلى الطعام والشراب، فهي لذة وقتية سريعة

سرعان ما تزول، وهي تملأ النفس بأمراض كثيرة دفينة خطيرة من الأشر والبطر والعجب والفخر والخيلاء والرياء!

فأين هذا من حلاوة الإيمان، ولذة الطاعة، وطمأنينة النفس، وقرار العين وإن أردت دليلاً فقارن بين نفسك في حالتين:

حالة تنفق ديناراً بزخًا وترفًا وسمعةً ورياءً، وانظر إلى ما يدب في قلبك حينئذ من أمراض الزهو والفخر والمخيلة، وما تجده في نفسك من حسد وبغضاء لمن يملك أكثر منك، وينفق أكثر.

ثم انظر إلى نفسك حالة أن تتصدق بدرهم ترجو به وجه الله ورحمته ورضوانه والنجاة من عذابه ونيرانه، إذ يرق قلبك رحمة لفقير أو محتاج فتسخو نفسك بالبذل والعطاء، وتسعد بإسعاد غيرك، وتفرح وتسر بالحسنة، وتحمد الله أن هيأ لك الخير ووفقك إليه.

فانظر إلى ما خلق الله في قلبك من الرقة والرحمة، والشكر والغبطة، والفرح بالحسنة والنعمة، والسعادة لإسعاد عباده، وما يبثه الله في قلبك من السكينة والطمأنينة، والرضا بالقليل، والثقة بوعد الله تعالى وأنه سيخلف عليك نفقتك، وستعود عليك الحسنة بعشر أمثالها.

فلا شك أن ذلك كله يغمر القلب فرحة وسعادة، ويجد المرء له في نفسه لذة وحلاوة ما بعدها حلاوة.

٢ـ اتخاذ العبادة عادة:

من أسباب قسوة القلوب أيضًا وعدم وجودها لحلاوة الإيمان ولذته، اتخاذ العبادة عادة: وهذا يتفرع على النقطة السابقة، وهي الغفلة عن تحقيق معنى الإيمان في القلب، وعدم الربط بين الإيمان والأعمال.

فمن تأمل وجد أن كثيرًا من المسلمين قد يصومون رمضان عادة لا إيمانًا واحتسابًا كما قال النبي ﷺ: " **من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر** "(٤).

فهم يصومونه بحسب عادة المسلمين إذا دخل رمضان صاموا أي أمسكوا عن الطعام والشراب، فهكذا عادتهم، وهكذا يصنعون،

---

(٤) أخرجه البخاري في (الصوم)، باب: من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا ونية (ح ١٩٠١)، ومسلم في (صلاة المسافرين)، باب: الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح(ح ٧٥٩) دون زيادة :"وما تأخر" وهي عند أحمد والنسائي وغيرهما بسند حسن.

ولا يليق بأحدهم أن يُرى في نهار رمضان وهو يأكل أو يشرب فهو من الخزي والعار بمكان.

فيصوم الرجل نهاره ويفطر ليله، ويستمر على ذلك دهره كله ولا يستشعر لعبادته لذة ولا حلاوة، لأنه لا يفعل ذلك طاعة لله ولا إيمانًا به، ولا احتساباً للأجر عنده.

وكذلك تصير الصلاة وسائر الأعمال مجرد عادات يعتادها المرء حينما تنفصل عن أصلها الأصيل وهو الإيمان بالله وابتغاء وجهه وثوابه ورضوانه، واتقاء غضبه وعذابه ونيرانه.

٣ـ علل القلوب وأمراضها:

من الأسباب المانعة من حلاوة الإيمان كذلك:

علل القلوب وأمراضها، فالقلب العليل المريض لا يستطيع أن يجد تلك اللذة، وتلك الحلاوة لثمرة الإيمان.

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد

وينكر الفم طعم الماء من سقم

فالمريض ذو الجوف المرّ من مرارة أو غيرها يجد الأشياء كلها مرّة في فمه.

وكذلك القلوب إذا اعتلَّت ومرضت لم تجد حلاوة الإيمان، ولم تعرف لذة الطاعة، بل تثقل عليها العبادة، وتجد لها نفرة وكراهية.

وأمراض القلوب نوعان :

١ـ مرض شبهة.

٢ـ مرض شهوة.

وأشد هذين النوعين أولهما، فإذا دبت في القلوب الشبهات والشكوك، فتشككت في حقيقة الإيمان، وألوهية الحق، فقد فسدت تلك القلوب فساداً عظيمًا واعتلَّت لذلك اعتلالاً مبينًا، فلا تكاد تجد للعبادة أو الطاعة لذة وإن عملت بها، لأن الأصل الذي ترجع إليه قد ضعف وتزعزع.

أما أمراض الشهوات فسببها تعلق القلوب بما حرم الله تعالى واعتيادها لذلك حتى يصعب عليها ترك تلك المعاصي، ولا يتصور المرء أن يعيش بدونها، وحينئذ قد يجره ذلك إلى أمراض الشبهات فيتشكك في حرمة تلك المعاصي، بل يتشكك في عدل الله تعالى، ويرى أنه قد ظلمه حيث حرمه ومنعه شهوته من النساء مثلاً، بأن

يزني بمن يشاء ويهوى، أو يشرب الخمر التي تذهب بالعقول، أو يأخذ من المال ما لا يحل له. . إلخ

فيرى ذلك كله أو بعضه ظلمًا وقهرًا، أو أن الواجب حل ذلك، أو يستحله هو، وينكر ويجحد ما أنزله الله تعالى فيه من الحق فيكون بذلك كافرًا.

وقد يكون المرض أخف من ذلك بتعلق المرء بالمعصية ومحبته لها مع إقراره بإثمها وحرمتها، فحينئذ يميل قلبه إلى الباطل ويعشقه، ويكره الحق ويثقل عليه فأنى يجد حلاوة الإيمان؟!

وأنى له أن يذوق لذته؟!

وكيف يطمئن قلبه بالإيمان ويسكن به، وهو يمنعه ما تعلقت به نفسه وسكنت إليه؟!

فنعوذ بالله من علل النفوس وأمراضها وشهواتها!

وإذا صار المرء إلى مثل هذه الحال انتكست فطرته، لا يرى المعروف معروفًا ولا المنكر منكرًا، ولا يرى الحق حقًّا ولا الباطل باطلاً.

وهذا ما بينه النبي ﷺ حيث قال :

"تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة مادامت السموات والأرض، والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخيا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكراً، إلا ما أشرب من هواه"(٥).

لعل ما ذكرناه هنا هو أهم أسباب فقدان حلاوة الإيمان.

مظاهر فقدان حلاوة الإيمان :

أما مظاهر فقدان تلك الحلاوة، فتتمثل في :

١ـ تقديم محاب النفوس على محاب الله.

٢ـ غلبة النظرة المادية على القلب.

٣ـ التعلق بالمعصية والحنين إليها.

---

(٥) أخرجه مسلم في (الإيمان)، باب : رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب، وعرض الفتن على القلوب (ح ١٤٤). وقوله :"مرباداً" شدة البياض في السواد، ومنه "تربد لونه" : أي تلون. و "مجخيا": مائلاً منكوسًا.

أولاً : تقديم محابّ النفوس على محاب الله تعالى :

إذا فقدت القلوب حلاوة الإيمان رأيت علامة ذلك أن يُؤْثر المرء محاب نفسه وأهواءها وشهواتها على محاب الله تعالى وأوامره وتكاليفه .

فيؤثر الانشغال بالدنيا على الدعوة إلى الله .

وقد يستعجل أمره فيؤثر جمع المال على الصلاة!

ويؤثر التمتع بالحرام على العفة والطهارة!

ويؤثر سماع الغناء على سماع القرآن!

ويؤثر سماع اللغو من الأفلام والمسلسلات والمباريات وغير ذلك على سماع الوعظ والعلم النافع!

ويؤثر الإقراض بالربا على إنظار المعسر المحتاج!

ويؤثر الرشوة على العفة!

ويؤثر الجشع وأكل الأموال بالباطل على القناعة والرضا بما قسمه الله!

وسبب ذلك كله أن نفسه وهواه أحب إليه من الله ورسوله! فمن كان كذلك فليعلم أن جذوة الإيمان قد خمدت في قلبه أو تلاشت، وأنه لا بد له من وقفة مع نفسه يجدد فيها إيمانه ويسارع فيها بالتوبة إلى الله .

ثانياً: غلبة النظرة المادية على القلب:

حينما تغيب عن القلوب حقيقة الإيمان، لا يبقى في القلوب إلا المقاييس الأرضية المادية، فيقاس الخير والنفع بما يحقق للمرء نفعًا ماديًا عاجلاً.

فلا معنى للأخوة في الله!

ولا معنى للصحبة والصداقة والوفاء!

ولا معنى لجمع الكلمة وائتلاف القلوب!

ولا معنى للتزاور وصلة الأرحام!

ولا معنى لحقوق الأقارب والجيران!

لا معنى لذلك كله عند من ضعفت عنده حقيقة الإيمان إلا بمقدار ما يجلب ذلك عليه من نفع عاجل في دنياه.

فإذا قيل له: هل لك في زيارة فلان؟

كان الجواب: وما المصلحة في ذلك؟

فإن أجيب بأن من وراء ذلك صفقة أو تجارة أو منفعة أي منفعة، كان الجواب: نعم! خير! وإن كان الجواب: زيارة في الله،

أو تفقد لأخ مسلم أو أداء لحقوق القربى أو الجيرة، عيادة مريض أو نحو ذلك، كان الجواب : ليس في ذلك من خير، ولا فائدة فيه، إلا أن يتخذ ذلك مطية لتحقيق غرض دنيوي ومصلحة عاجلة.

فمثل هذا إن أحب المرء فلا يحبه إلا لدنياه، وليس يحبه لله. فمن كان كذلك فليعلم أن ضوء الإيمان قد خفت في قلبه، ويوشك أن ينطفئ نور إيمانهم ويصبحوا في ظلمات لا يبصرون.

ثالثًا: التعلق بالمعصية والحنين إليها :

من مظاهر ذهاب حلاوة الإيمان كذلك كما يبين الحديث، أن يتعلق المرء بالكفر، بأن يتعلق بشعبة من المعاصي، لأن المعاصي كلها من شعب الكفر، فتراه يحن إلى الجاهلية، ويتمنى أن يعود إلى ما فيها، وتتوق نفسه إلى شهواتها ومعاصيها، ويحلم بمعاودة ما كان فيه من باطل، وما كان عليه من ضلال.

وهذا أشد ما يصل إليه الحال عند خفوت نور الإيمان بالقلوب، فلا يكاد يجد للطاعة لذة، ولا يكاد يجد للإيمان حلاوة، وذلك لأن حنينه إلى الكفر والمعصية لا يزال ينغص عليه لذة الطاعة.

أسباب وجود حلاوة الإيمان :

بقى أن نبين بعد ذلك من خلال الحديث كيف يذوق المرء حلاوة الإيمان؟ وهذا ما تصدى له هذا الحديث الجليل " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان " .

١ـ أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .

٢ـ أن يحب المرء لا يحبه إلا لله .

٣ـ أن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار .

ويمكننا أن نترجم هذه الكلمات النبوية فنقول من خلال هذا البيان النبوي العظيم :

إن الأسباب التي تحصل بها حلاوة الإيمان ثلاثة هي :

١ـ تقديم محاب الله ورسوله على محاب النفوس .

٢ـ غلبة النظرة الإيمانية على القلب .

٣ـ كراهية المعاصي وعدم التعلق بها .

السبب الأول لحلاوة الإيمان:

تقديم محابّ الله ورسوله على محابّ النفوس:

هذه هي أعظم أسباب زيادة الإيمان واستشعار حلاوته، أن تعظم محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ في القلوب.

واعلم أن المحبة ليست ادعاء، ولكنها عمل من أعظم أعمال القلوب، وأنها إذا ما استقرت في القلب خالطته بشاشة الإيمان فيهفو القلب إلى محاب الرحمن، وتتبعه الجوارح كلها منقادة ذليلة، فتسعى الأقدام إلى الطاعات، وتميد الأيدي بالإحسان، ويسبح اللسان والجنان، ويغض الطرف، وتخشع النفس، ويرق القلب، وتدمع العين.

وذلك أن المحبة أصلها في القلب، فإذا أحب القلب فاطره ومولاه لان ومال إلى طاعته، والجوارح له تبع، وإذا خلا من المحبة نفر من الطاعة، والجوارح له تبع.

فالدليل على صدق محبة المرء لله تعالى ورسوله ﷺ هو اتباعه لأوامر الله تعالى وسنة رسوله ﷺ في كل ما أمر به وما نهى عنه، وعلى قدر زيادة المحبة ونقصانها يكون زيادة الاتباع و نقصانه.

وقد تأتي الطاعة والاتباع لله ورسوله من الخوف من العقاب أو الطمع في الثواب، ولكن لا يجد المرء حلاوة الإيمان ولا لذة الطاعة والاتباع إلا بأن تكون طاعته واتباعه لله ورسوله عن محبة خالصة.

ومثال ذلك : الطالب الذي يذاكر وهو خائف شديد الخوف من الرسوب والفشل فإنه ينجح ويرتقي، ولكنه لا يجد للمذاكرة لذة في حينها إذ كيف يجد اللذة خائف وجل متألم متضرر؟!

وكذلك من يعبد الله ويطيعه رجاء الرزق والفضل والسعة في الدنيا أو الآخرة فإنه لا يجد كمال اللذة للطاعة ولا العبادة، لأنه إنما يفعلها اضطراراً فهو يرى أنه مضطر للعبادة لتحصيل الرزق والفضل، كما أن الخائف يرى أنه مضطر للعبادة للنجاة من العذاب.

أما المحب لله تعالى وشرعه فهو يعبد الله تعالى محبة لذاته وصفاته وفعاله وشرعه لا لمجرد الخوف ولا لمجرد الطمع، وإن كان الخوف والطمع مطلوبين كذلك غير مذمومين، فقد ذكر الله تعالى أنبياءه ـ عليهم السلام ـ وذكر أنهم يدعونه طمعًا وخوفًا، فقال تعالى:

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ ﴿الأنبياء﴾.

والرغب هو: الرغبة والطمع في ثواب الله تعالى، والرهب هو: الخوف والرهبة من عقابه، وهذا إنما يحسن من العبد في حالة الدعاء والتضرع فينبغي له أن يظهر تذلـله ورغبته فيما عند الله تعالى، ويلح في الدعاء والمسألة فإنه من تمام عبوديته لله تعالى وبه تكتمل لذة الطاعة.

فالمرء إنما يتلذذ بالتزلف والتقرب بمن يثق في إجابته وعطائه، كما يطمئن بالتضرع والتذلل لذي السلطان والجبروت إذا علم أن ذلك يؤمنه من بطشه وعقابه.

أما السعادة العظمى، واللذة الكبرى، والحلاوة التي ليس بعدها لذة ولا حلاوة فهي لذة المحبة وحلاوتها، حينما تمتلك محبة الله تعالى على المرء قلبه وجوارحه فلا يرى إلا صورة الكريم الرحيم الحليم المنان واسع الفضل ذا الطول والإحسان، العفو الرؤوف الغفور الشكور، الغفار الوهاب الرزاق الفتاح الودود المجيد، فيرى

واسع رحمته وفضله ومنّه وجوده وكرمه فيمتلئ قلبه محبة وشكراً، فتتحرك الجوارح كلها بشكره سبحانه تبعًا لمحبة القلب وشكره.

وكذلك فإن صفات الشدّة والبطش والجبروت والعظمة لا تمنع من كمال المحبة بل تزيدها، فإن المرء لا يحب العاجز ولا الضعيف، وإذا كان إلهه الذي يعبده ويطيعه قادراً قويًا شديد البطش شديد العقاب، فإنه تكمل محبته له وثقته به، لأنه يعلم يقينًا أنه ناصره، ومنتقم له من عدوه، وأن من أحبه وتولاه فإن حزب الله هم الغالبون.

كيف تزيد محبة المرء لله تعالى ولرسوله ﷺ ؟

والسبيل لزيادة محبة المرء لله تعالى ولرسوله ﷺ هو بأن يتفكر العبد في صفات الله تعالى وما يعود عليه منها من الخير العظيم والنفع العميم فكل صفة تتفرع عنها نعم ومنن لا تعد ولا تحصى.

فليتفكر العبد في صفات الرزاق والوهاب والفتاح والمعطى وما يعود عليه منها من النعم والخير والعطاء.

ويتفكر في صفات الغفور الرحمن الرحيم العفو الرؤوف الكريم الحليم الودود وما يعود عليه منها من العفو والرحمة والكرم والجود والإنعام، ويتفكر كذلك في صفات السميع العليم اللطيف الخبير

الشهيد الحفيظ، وما يعود عليه منها من علمه بحاله وتدبيره لأمره وإصلاح شأنه دون جهد منه ولا سبب.

ويتفكر كذلك في صفات العظيم العزيز شديد العقاب القهار الجبار القوي المتين.. إلخ، يتأمل ما فيها من نصرته إياه وقهره لأعدائه ونصره لأوليائه.. إلخ

فإنك إذا أحسنت إلى أحد الناس ثم أساء إليك يوشك ألا تحسن إلى أحد أبداً لأنك إنما تنتظر الجزاء من الناس، والناس لا يردون الإحسان بمثله، وإنما إذا كان إحسانك ابتغاء الأجر من الله تعالى فإنك تجد لذلك لذة وحلاوة في القلب وطمأنينة في النفس وثقة بالأجر والنصر من الله تعالى أنصفك الناس أم ظلموك، أعطوك أم منعوك.

السبب الثاني لحلاوة الإيمان:

غلبة النظرة الإيمانية على القلب:

هذا هو السبب الثاني لحلاوة الإيمان وهو عكس ما ذكرناه من قبل من موانع وجود حلاوة الإيمان، حيث بينا أن غلبة النظرة المادية على القلب تمنع من وجود حلاوة الإيمان، كذلك فإن غلبة النظرة الإيمانية على القلب تجعل الإيمان فيه حيًا ناضراً.

وذلك ما أشار إليه الحديث بقولهﷺ : " وأن تحب المرء لا تحبه إلا لله " فتحب لله وتبغض لله وتعمل لله، وتسعى لله، وتتكلم لله، وتسمع لله، وتعطي لله، وتمنع لله.

وهكذا، ينبغي أن يكون مقصدك الأعظم في كل عمل من أعمالك هو القرب من الله ـ عز وجل ـ، فيزيدك الله على ذلك قربًا، ويكافئك على محبتك إياه بمحبته إياك.

وصدق رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه حيث قال: " **إذا تقرب العبد إليَّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا وإذا تقرب إليَّ ذراعًا تقربت منه باعًا، وإذا أتاني مشيًا أتيته هرولة** "[٦].

السبب الثالث لحلاوة الإيمان :

كراهية المعاصي وعدم التعلق بها :

وذلك كما قال النبي ﷺ في هذا الحديث : " وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف في النار " .

---

(٦) أخرجه البخاري في (التوحيد) ، باب : ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه (ح ٧٥٣٦)، من حديث أنس – رضي الله عنه –.

فالكراهية والبغض لشريعة الكفر وتقاليده وشعبه - وهي المعاصي، لأن المعاصي كلها شعب من شعب الكفر - فإذا كره المرء الكفر والفسوق والعصيان فقد اطمأن قلبه بالإيمان فلا يكون مذبذبًا مائلاً إلى الفسوق والفجور راغبًا فيه متضررًا من منع الله تعالى إياه منه وتحريمه عليه، فتطمئن نفسه وتستقر وتهدأ وتنعم بطاعة الله تعالى وتعلم أن الخير كله فيها.

وذلك لأن التعلق بالمعاصي والرغبة فيها إنما يكدر القلب، ويعكر عليه لذة الإيمان وحلاوته، وذلك لأن القلب يظن أن نفعه وخيره في إصابة تلك المحرمات فلا يزال متعلقًا بها أسيرًا لهواه عبدًا لشهواته وأهوائه، قلقًا حائرًا بين إرضاء ربه وإرضاء شهواته.

وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ ﴿الزمر﴾.

فالعبد الحائر المتردد بين طاعة الله واتباع شهواته هو كذلك العبد الذي يتنازعه عدة شركاء متشاكسين لا يدري من يطيع منهم!!

أما الذي يطيع الله تعالى وحده فهو كالعبد الذي يملكه سيد واحد فيأتيه أمرًا واحد ونهيًا واحد فيتبعه بلا قلق ولا تردد.

فالمؤمن الحق الذي يجد حلاوة الإيمان هو الذي حبب الله تعالى إليه الإيمان والطاعة، وكرّه إليه الكفر والفسوق والعصيان، وقد وصف الله تعالى أولئك بأنهم هم الراشدون فقال سبحانه في صفة المؤمنين المتبعين للرسول ﷺ: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ ﴾ ﴿الحجرات﴾.

فصل في أقوال السلف
في حلاوة الإيمان

تمهيد: جنة الدنيا:

قال ابن القيم: قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةًۖ ۝٩٧ ﴾ ﴿النحل﴾، فهذا في الدنيا، ثم قال: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ

يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ ﴿النحل﴾، فهذا في البرزخ والآخرة، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ ﴿النحل﴾، وقال تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ﴿٣﴾ ﴾ ﴿هود﴾ فهذا في الآخرة. وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ ﴿الزمر﴾، فهذه أربعة مواضع ذكر الله تعالى فيها أنه يجزي المحسن بإحسانه جزاءين جزاءً في الدنيا وجزاءً في الآخرة. فالإحسان له جزاء معجل ولابد، والإساءة لها جزاء معجل ولابد. ولو لم يكن إلا ما يجازي به المحسن من انشراح صدره في انفساح قلبه وسروره ولذاته بمعاملة ربه ـ عز وجل ـ وطاعته وذكره، ونعيم روحه بمحبته وذكره وفرحه بربه ـ سبحانه وتعالى ـ أعظم مما يفرح القريب مَنّ السلطان الكريم عليه بسلطانه وما يجازي به المسيء من ضيق الصدر

وقسوة القلب وتشتته وظلمته وحزازته وغمه وهمه وحزنه وخوفه، وهذا أمر لا يكاد من له أدنى حس وحياة يرتاب فيه، بل الغموم والهموم والأحزان والضيق عقوبات عاجلة ونار دنيوية وجهنم حاضرة، والإقبال على الله تعالى والإنابة إليه والرضاء به وعنه وامتلاء القلب من محبته واللهج بذكره والفرح والسرور بمعرفته ثواب عاجل وجنة وعيش لا نسبة لعيش الملوك إليه البتة.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدس الله روحه ـ يقول: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة، وقال لي مرة: ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، إن رحت فهي معي لا تفارقني. إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة. وكان يقول في محبسه في القلعة: لو بذلت ملء هذه القلعة ذهبًا ما عدل عندي شكر هذه النعمة. أو قال ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير، ونحو هذا، وكان يقول في سجوده وهو محبوس: "اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ما شاء الله" وقال لي مرة: المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى. والمأسور

من أسره هواه. ولما دخل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال: ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ﴾ ﴿الحديد﴾. وعلم الله ما رأيت أحدًا أطيب عيشًا منه قط مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشاً وأشرحهم صدراً، وأقواهم قلباً، وأسرهم نفساً، تلوح نضرة النعيم على وجهه. وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله وينقلب انشراحاً وقوة ويقينًا وطمأنينة. فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فآتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها.

وكان بعض العارفين يقول: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف. وقال آخر: مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها! قيل: وما أطيب ما فيها ؟ قال: محبة الله تعالى

ومعرفته وذكره، أو نحو هذا. وقال آخر: إنه لتمر بالقلب أوقات يرقص فيها طرباً. وقال آخر: إنه لتمر بي أوقات أقول إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب.

فمحبة الله تعالى ومعرفته ودوام ذكره والسكون إليه والطمأنينة إليه وإفراده بالحب والخوف والرجاء والتوكل والمعاملة بحيث يكون هو وحده المستولي على هموم العبد وعزماته وإرادته، هو جنة الدنيا والنعيم الذي لا يشبهه نعيم، وهو قرة عين المحبين، وحياة العارفين. وإنما تقر عيون الناس به على حسب قرة أعينهم بالله ـ عز وجل ـ، فمن قرت عينه بالله قرت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات[٧].

تلكم هي جنة الدنيا، فأهل الإيمان وإن ابتلوا في الظاهر إلا أن قلوبهم مطمئنة بالإيمان، يجدون راحة في نفوسهم، ويعيشون عيشة طيبة لا يعرف وصفها على التحقيق إلا من ذاقها.

---

(٧) "الوابل الصيب" لابن القيم ص (٤٧ - ٤٩) ط دار الحديث.

ولقد عاش هذه الحياة الطيبة كثير من عباد الله الصالحين ورزقهم الله تبارك وتعالى حلاوة الإيمان، وفيما يلي ذكر بعض الأقوال والمواقف التي تدل على ذلك، لكن لابد من الحذر من مزلق من المزالق وهو أن بعض الناس قد يعبد الله ويكثر من الطاعات طلبًا للذة الطاعة، بل ينبغي للعبد أن يتوجه لطلب رضوان الله تعالى ويجعل هذه الطاعات سبباً موصلاً إلى رضا الله والجنة لا أن يكون الهدف هو تحصيل اللذة.

قال الواسطي: استعمل الرضا جهدك، ولا تدع الرضا يستعملك، فتكون محجوباً بلذته ورؤيته عن حقيقة ما تطالع.

قال ابن القيم: وهذا الذي أشار إليه الواسطي هو عقبة عظيمة عند القوم، ومقطع لهم. فإن مساكنة الأحوال، والسكون إليها، والوقوف عندها، استلذاذاً ومحبة: حجاب بينهم وبين ربهم بحظوظهم عن مطالعة حقوق محبوبهم ومعبودهم. وهي عقبة لا يجوزها إلا أولو العزائم. وكان الواسطي كثير التحذير من هذه العقبة. شديد التنبيه عليها، ومن كلامه: إياكم واستحلاء الطاعات، فإنه سموم قاتلة.

فهذا معنى قوله "استعمل الرضا جهدك، ولا تدع الرضا يستعملك" أي لا يكون عملك لأجل حصول حلاوة الرضا، بحيث تكون هي الباعثة لك عليه، بل اجعله آلة لك وسبباً موصلاً إلى قصدك ومطلوبك. فتكون مستعملاً له، لا أنه مستعمل لك.

وهذا لا يختص بالرضا، بل هو عام في جميع الأحوال والمقامات القلبية، التي يسكن إليها القلب، حتى إنه ـ أيضًا ـ لا يكون عاملاً على المحبة لأجل المحبة، وما فيها من اللذة والسرور والنعيم به ـ بل يستعمل المحبة في مرضاة المحبوب، لا يقف عندها. فهذا من علل المحبة[٨].

١ـ حلاوة الإيمان والاجتهاد في الطاعة

قال ابن رجب الحنبلي: "من خدم من يحب تلذذ بشقائه في خدمته. وقال بعضهم: القلب المحب لله يحب النصب له"[٩].

وكان عمار بن ياسر ـ رضي الله عنه ـ يقول: "اللهم لو أعلم أنه أرضى لك عني أن أرمي بنفسي من هذا الجبل فأتردى فأسقط فعلت،

---

(٨) "مدارج السالكين" (١٧٦/٢ - ١٧٧).

(٩) "اختيار الأولى" لابن رجب ص (٢٨).

ولو أعلم أنه أرضى لك عني أن أوقد ناراً عظيمة فأقع فيها فعلت، ولو أعلم أنه أرضى لك عني أن ألقي بنفسي في الماء فأُغرق نفسي فعلت، وإني لا أقول هذا إلا وأريد وجهك، وأنا أرجو أن لا تخيبني، وأنا أريد وجهك"[١٠].

والله تعالى لم يكلف عباده بهذا، لكن لسان حال عمار يقول: لو أمرنا لفعلنا ولو أوجب هذا لامتثلنا، ومثل هذه الروح لن تتكاسل عن الاجتهاد فيما أمر الله بفعله والابتعاد عما نهى الله عنه، لأنهم باعوا أنفسهم لله ولم ينشغلوا بسفاسف الأمور وحقيرها.

قال بعض العارفين: "إن كنت تسمح ببذل روحك في هذه الطريق فلا تشتغل بالترهات"[١١].

ومثل هؤلاء لا يغفلون عن طاعة الله وذكره. قال فتح الموصلي: "المحب لله لا يجد مع حب الله للدنيا لذة، ولا يغفل عن ذكر الله طرفة"[١٢].

---

(١٠) "اختيار الأولى" لابن رجب ص (٩٩).

(١١) "اختيار الأولى" لابن رجب ص (١٠٠).

(١٢) "اختيار الأولى" لابن رجب ص (١٠٣).

بل تراهم لأنفسهم مجاهدين وعند التقصير لها معاتبين رغبة في رضا الله والجنة. عن عثمان بن أبي العاتكة قال: علق أبو مسلم سوطًا في المسجد فكان يقول: "أنا أولى بالسوط من البهائم ، فإذا فتر مشق ـ أي ضربه بسرعة ـ ساقيه سوطا أو سوطين" ، قال: وكان يقول: " لو رأيت الجنة عِيَاناً أو النار عياناً ما كان عندي مستزاد "(١٣).

٢ـ حلاوة الإيمان عند الصلاة وقراءة القرآن:

لما عمرت قلوب الصالحين بالإيمان نصبوا أقدامهم لله ففتح الله عليهم فوجدوا راحة نفوسهم في الوقوف بين يديه فها هو سيدهم خليل الرحمن محمد ﷺ تقول عنه أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها ـ: "كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: "أفلا

(١٣) الذهبي في "سير أعلام النبلاء" (٩/٤) .

أحب أن أكون عبداً شكوراً"[١٤]. كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه أي حتى تتشقق. فحال النبي ﷺ كانت أكمل الأحوال فكان لا يمل من عبادة ربه وإن أضر ذلك ببدنه[١٥].

وعن مطرف عن أبيه قال: "رأيت رسول الله ﷺ يصلي، وفي صدره أزيزٌ كأزيز المرجل من البكاء"[١٦].

كان إذا صلى ﷺ سمع لصدره صوت كصوت القدر إذا غلى ما فيه وهذا من شدة بكائه ﷺ.

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول: "اللهم أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت

---

(١٤) البخاري في (التفسير) (٤٨٣٧)، ومسلم بنحوه في (صفة القيامة والجنة والنار) (٢٨٢٠).

(١٥) "فتح الباري" لابن حجر (٣/٢٠،١٨).

(١٦) أخرجه أحمد (٤/٢٥)، وأبو داود (٩٠٤)، وانظر "صحيح سنن أبي داود" (٧٩٩).

عن أبي ذر قال: "صلى النبي ﷺ ذات ليلة فقرأ بآية حتى أصبح يركع بها ويسجد بها: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾" ﴿المائدة﴾[١٨].

لا يجاوز الآية، تؤثر فيه، يجد حلاوة في ترديدها يجد راحة في تلاوتها، لم لا؟! وهو الذي كان يجد راحته في الصلاة.

وعن سالم بن أبي الجعد قال: قال رجل: ليتني صليت فاسترحت، فكأنهم عابوا عليه ذلك، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها"[١٩]. أرحنا بها: أي أشغلنا عما سواها فإنما الاسترواح في الصلاة[٢٠].

وعن أنس قال: قال النبي ﷺ: "حبب إلي من دنياكم: النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة"[٢١]. "قرة العين" يعبر به

---

(١٨) أخرجه أحمد والنسائي وغيرهما بسند صحيح.

(١٩) (صحيح) انظر "صحيح سنن أبي داود" (٤١٧١).

(٢٠) "فيض القدير" للمناوي (٣/٣٧١).

(٢١) أخرجه أحمد والنسائي والحاكم والبيهقي بسند صحيح كما في "صحيح الجامع" (٣١٢٤).

عن الراحة والسعادة فراحة النبي ﷺ وسعادته في الصلاة، "وخصها لكونها محل المناجاة ومعدن المصافاة"[٢٢].

وعلى أثره سار صحابته ـ رضوان الله عليهم ـ، فانظر إلى هذا الخبر تجد قانتاً محباً شغل بالصلاة عما سواها.

عن جابر قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ ـ يعني في غزوة ذات الرقاع ـ فأصاب رجل امرأة رجل من المشركين، فحلف أن لا أنتهي حتى أهريق[٢٣] دمًا في أصحاب محمد، فخرج يتبع أثر النبي ﷺ، فنزل النبي ﷺ منزلاً، فقال: "مَنْ رجل يكلؤنا؟"[٢٤] فانتدب رجل من المهاجرين، ورجل من الأنصار، فقال: "كونا بفم الشعب". قال: فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب اضطجع المهاجري، وقام الأنصاري يصلي، وأتى الرجل فلما رأى شخصه عرف أنه ربيئة[٢٥] للقوم، فرماه بسهم فوضعه فيه، فنزعه حتى رماه بثلاثة أسهم، ثم ركع وسجد، ثم

---

(٢٢) "فيض القدير" للمناوي (٣/٣٧١).

(٢٣) أهريق يعني: أريق بمعنى أصب. اللسان (هرق).

(٢٤) أي يحفظنا. اللسان (كلأ).

(٢٥) الربيئة: هو العين والطليعة الذي ينظر للقوم لئلا يدهمهم عدو، ولا يكون إلا على جبل أو شرَف ينظُر منه. اللسان (ربأ).

انتبه صاحبه، فلما عرف أنهم قد نذروا به[٢٦] هرب، ولما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدم قال: سبحان الله! ألا نبهتني أول ما رمى، قال: كنت في سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها[٢٧]. حلاوة القرآن شغلته عن أثر السهام المضروبة في بدنه.

وعلى أثر من سلف يمشي من خلف.

قال ثابت البناني: "كنت أمرُّ بابن الزبير، وهو خلف المقام يصلي، كأنه خشبة منصوبة لا تتحرك"[٢٨].

وعن مسلم بن يناق قال: "ركع ابن الزبير يومًا ركعة فقرأنا بالبقرة وآل عمران والنساء والمائدة وما رفع رأسه"[٢٩].

وعن يحيى بن وثاب: "كان ابن الزبير إذا سجد وقعت العصافير على ظهره تصعد وتنزل لا تراه إلا جذم[٣٠] حائط"[٣١]. يعني أصل

---

(٢٦) أي: أبصروه.

(٢٧) أخرجه أبو داود في (الطهارة)، باب: الوضوء من الدم (١٩٨)، وانظر "صحيح سننه" (١٨٢).

(٢٨) "سير أعلام النبلاء" للذهبي (٣٦٩/٣).

(٢٩) السابق الموضع نفسه.

(٣٠) جذم، بكسر الجيم وفتحها: الأصل من كل شيء. اللسان (جذم).

(٣١) البداية والنهاية لابن كثير (٣٦٣/٦) بتحقيق د/عبدالحميد هنداوي.

حائط، يا لطول صلاته وحسن خشوعه وما حمله على ذلك إلا أن الله وهبه حلاوة يجدها في هذه الصلاة.

وليس هذا منحصراً في الرجال، إذ يسير معهم في الطريق عاليات الهمة من النساء وعلى رأسهن الصحابيات وأمهات المؤمنين.

عن القاسم بن محمد قال: كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة ـ رضي الله عنها ـ أسلم عليها، فغدوت يوما فإذا هي قائمة تسبح وتقرأ: ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ ﴿الطور﴾، وتدعو وتبكي وترددها، فقمت حتى مللت القيام فذهبت إلى السوق لحاجتي ثم رجعت فإذا هي قائمة كما هي تصلي وتبكي[٣٢].

إنما يصبر العبد على طاعة الله بتوفيق من الله ومحبة من العبد لربه.

قال ابن رجب: "كان بعضهم يكثر من تلاوة القرآن ثم فتر عن ذلك فرأى في المنام قائلاً يقول له:

---

(٣٢) "صفة الصفوة" لابن الجوزي (٢٩٢/١) بتحقيق د/عبدالحميد هنداوي.

إن كنـــت تـــزعم حـــبِّي فـــلم جفـــوت كـــتابي
أمـــا تدبَّـــرت مـــا فـــيه مـــن لطـــيف عـــتابي

فاستيقظ وعاد لتلاوته" [٣٣].

وعن شرحبيل أن رجلين أتيا أبا مسلم فلم يجداه في منزله فأتيا المسجد فوجداه يركع فانتظراه فأحصى أحدهما أنه ركع ثلثمائة ركعة [٣٤].

وعن أبي نوح الأنصاري قال: وقع حريق في بيت فيه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وهو ساجد فجعلوا يقولون: يا بن رسول الله! النار، فما رفع رأسه حتى طفئت فقيل له في ذلك فقال: ألهتني عنها النار الأخرى [٣٥].

وعن عبد الله بن أبي سليمان قال: كان على بن الحسين إذا مشى لا تجاوز يده فخده ولا يخطر بها، وإذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة، فقيل له، فقال: تدرون بين يدي من أقوم ومن أناجي [٣٦].

---

(٣٣) "اختيار الأولى" (١٠٣،١٠٢).
(٣٤) "سير أعلام النبلاء" (٤/١٠).
(٣٥) "سير أعلام النبلاء" الذهبي (٤/٣٩٢،٣٩١).
(٣٦) "الحلية" لأبي نعيم (٣/١٣٣) بنحوه.

وكان الشافعي قد جزأ الليل فثلثه الأول يكتب والثاني يصلي والثالث ينام. قال الذهبي: أفعاله الثلاثة عبادة بالنية[٣٧].

وقال حسين الكرابيسي: بت مع الشافعي ليلة فكان يصلي نحو ثلث الليل فما رأيته يزيد على خمسين آية فإذا أكثر فمائة آية وكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل الله ولا بآية عذاب إلا تعوذ وكأنما جمع له الرجاء والرهبة جميعًا[٣٨].

ودعي محمد بن إسماعيل - أي البخاري - إلى بستان بعض أصحابه فلما صلى بالقوم الظهر قام يتطوع فلما فرغ من صلاته رفع ذيل قميصه فقال لبعض من معه: انظر هل ترى تحت قميصي شيئا؟ فإذا زنبور قد أبره في ستة عشر أو سبعة عشر موضعًا وقد تورَّم من ذلك جسده فقال له بعض القوم: كيف لم تخرج من الصلاة أول ما أبرك؟ قال: كنت في سورة، فأحببت أن أتمها[٣٩].

---

(٣٧) "السير" (١٢/٣٥).

(٣٨) السابق نفسه.

(٣٩) "سير أعلام النبلاء" للذهبي (١٢/٤٤٢).

وصدق الله : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾ ﴿الانفطار﴾، نعيم في الدنيا قبل الآخرة.

كان أبو سليمان يقول: أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا[٤٠].

٣ـ حلاوة الإيمان وطلب العلم الشرعي:

لقد منَّ الله على العلماء بأن وفقهم لتعلم دينه وتعليمه، ومنَّ عليهم بأن رفعهم درجات، فشمر المخلصون في طلب العلم ونشره بين الناس فبارك الله بهم وأذاقهم حلاوة هذه الطاعة ولذة هذه العبادة، فتجد الواحد منهم يتعب وينصب ويرحل ويسافر ويسهر ويذاكر ويحفظ ويصنِّف وزاده الذي يصبره حب الله تعالى وطلب مرضاته فإذا تعب في مسألة رزق حلاوة عند بيانها وإذا وقفت أمامه معضلة رزق لذة عند حلها.

---

(٤٠) "اختيار الأولى" لابن رجب ص(٦٠).

قال الشافعي :

سهري لتنقيح العلوم ألذ لي ... من وصل غانية[٤١] وطيب عناق

وصرير[٤٢] أقلامي على صفحاتها ... أحلى من الدوكاء والعشاق

وألذ من نقر الفتاة لدفها ... نقري لألقي الرمل عن أوراقي

وتمايلي طرباً لحل عويصة[٤٣] ... في الدرس أشهى من مدامة ساقي

وأبيت سهران الدجا وتبيته ... نومًا وتبغي بعد ذاك لحاقي؟![٤٤]

ينتقلون من طاعة إلى طاعة ومن عبادة إلى عبادة.

وسبق أن الشافعي قد جزأ الليل، فثلثه الأول يكتب، والثاني يصلي، والثالث ينام. قال الذهبي: "أفعاله الثلاثة عبادة بالنية"[٤٥].

---

(٤١) غانية: جميلة.

(٤٢) صرير: صوت.

(٤٣) عويصة: مسألة صعبة.

(٤٤) "ديوان الشافعي" ص (٣٠) ط. ابن خلدون، وفضل العلم لمحمد سعيد رسلان ص (١٥٢، ١٥٣).

(٤٥) "السير" (١٢/٣٥).

٤ـ حلاوة الإيمان والصدقة:

لما خالط الإيمان بشاشة قلوب المتصدقين بذلوا ما يملكون طلبًا للنعيم الدائم والراحة التامة في الآخرة فأعقبهم الله راحة في نفوسهم أغنتهم عن الدنيا فالغنى غنى النفس.

وعن أم ذرة ـ وكانت تغشى عائشة ـ قالت: بعث إليها ابن الزبير بمال في غرارتين قالت: أراه ثمانين ومائة ألف، فدعت بطبق وهي يومئذ صائمة فجلست تقسمه بين الناس فأمست وما عندها من ذلك درهم، فلما أمست قالت: يا جارية هلمي فطوري، فجاءتها بخبز وزيت، فقالت لها أم ذرة: أما استطعت مما قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحما نفطر عليه؟ فقالت لها: لا تعنفيني لو كنت ذكرتيني لفعلت[٤٦]. نسيت نفسها وهي صائمة وصبرها على ذلك إيمانها.

وعن عطاء الخراساني، أن امرأة أبي مسلم قالت: ليس لنا دقيق. فقال: هل عندك شيء؟ قالت: درهم بعنا به غَزْلا، قال: ابغينيه وهاتي الجراب فدخل السوق فأتاه سائل وألح عليه فأعطاه

---

(٤٦) "صفة الصفوة" (٢٩١/١) بتحقيقنا، و"سير أعلام النبلاء" للذهبي (١٨٧/٢).

الدرهم، وملأ الجراب نشارة مع تراب، وأتى وقلبه مرعوب منها وذهب، ففتحته فإذا به دقيق حُوَّاري، فعجنت وخبزت فلما جاء الليل وضعته فقال: من أين هذا؟ قالت: من الدقيق، فأكل وبكى[٤٧].

بذل ما يجد فأعطاه الله فوق ما يريد.

وعن أبي حمزة الثمالي أن علي بن الحسين كان يحمل الخبز بالليل على ظهره يتبع به المساكين في الظلمة، ويقول: إن الصدقة في سواد الليل تطفئ غضب الرب[٤٨].

وعن محمد بن إسحاق : كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم فلما مات علي بن الحسين فقدوا ذلك الذي كانوا يؤتون بالليل[٤٩].

أخفوا لله العمل فأجزل لهم الله الجزاء ومنحهم لذة في الدنيا عند الطاعة ونعيمًا في الآخرة بدخول الجنة ورؤيته سبحانه.

---

(٤٧) "سير أعلام النبلاء" للذهبي (١٢/٤).

(٤٨) "حلية الأولياء" لأبي نعيم (١٣٦/٣، ١٣٥).

(٤٩) السابق و"سير أعلام النبلاء" للذهبي (٣٩٣/٤).

٥ـ حلاوة الإيمان والزهد في الدنيا :

صدقوا الله في محبتهم فباعوا كل غال ونفيس، دعاهم حب الله تعالى إلى أن خلفوا الدنيا وراءهم ظهرياً.

عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: نظر النبي ﷺ إلى مصعب بن عمير مقبلاً وعليه إهاب[٥٠] كبش قد تنطق به[٥١]، فقال النبي ﷺ: "انظروا إلى هذا الرجل الذي قد نور الله قلبه ، لقد رأيته بين أبوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب، فدعاه حب الله ورسوله إلى ما ترون"[٥٢].

٦ـ عند المصائب يتبين المؤمنون :

انكسر ظفر بعض الصالحات من السلف من عثرة عثرتها فضحكت وقالت: أنساني حلاوة ثوابه مرارة وجعه[٥٣].

---

(٥٠) أي: جلده.

(٥١) أي: لبسه.

(٥٢) أخرجه أبو نعيم في "الحلية" (١/١٠٨)، وأورده ابن الجوزي في صفة الصفوة (١/١٣٦) بتحقيق د/عبدالحميد هنداوي.

(٥٣) "اختيار الأولى" لابن رجب ص(٢٤).

وقال عامر بن قيس: أحببت الله حبًا هون عليَّ كل مصيبة ورضاني بكل بلية؛ فلا أبالي مع حبي إياه على ما أصبحت ولا على ما أمسيت(٥٤).

وقال عمر بن عبد العزيز لما مات ولده الصالح: إن الله أحب قبضه، وإني أعوذ بالله أن يكون لي محبة في شيء من الأمور بخلاف محبة الله، وكان يقول: أصبحت فمالي سرور إلا في مواقع القضاء والقدر(٥٥).

ما الذي صبرهم؟ إنه الله الذي رزقهم إيمانًا وصبرًا على البلاء بل رضا بالأقدار ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴿١٢٧﴾﴾ ﴿النحل﴾.

كان جماعة من المحبين كالفضيل وفتح الموصلي إذا باتوا ليلة بغير عشاء ولا سراج اشتد فرحهم وبكوا من الفرح، وقالوا: مثلنا يترك بغير عشاء ولا سراج بأي يد كانت منا، وبأي وسيلة توسلنا بها، وكان فتح يجمع ولده في ليالي الشتاء ويغطيهم بكسائه ويقول:

---

(٥٤) السابق ص (٩٨).

(٥٥) السابق ص (٩٩).

أجعتني وأجعت عيالي وأغربتني وأغربت عيالي وإنما تفعل ذلك بأوليائك وأحبابك فهل أنا منهم حتى أفرح؟[٥٦].

يفرحون عند نزول البلاء لاستلماحهم أجر الصبر.

لئن ساءني أن نلتني بمساءة * فقد سرني أني خطرت ببالكا[٥٧].

وليس معنى رضاهم بالأقدار تركهم الأخذ بالأسباب فهؤلاء السابق ذكرهم فرحوا صابرين على البلاء راضين به مع وجوب الأخذ بالأسباب.

قال ابن القيم: "وليس من شرط الرضا ألا يحس بالألم والمكاره بل ألا يعترض على الحكم ولا يتسخطه"[٥٨].

ودخلوا على بعض السلف وهو مريض فقالوا له: ما تحب؟ فقال: أحبُّه إليّ أحبُّه إليه.

وفي هذا يقول بعضهم:

---

(٥٦) "نور الاقتباس" في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس، لابن رجب ص (٩٦).
(٥٧) البيت في مدارج السالكين لابن القيم (١٦٨/٢).
(٥٨) مدارج السالكين (١٧٥/٢).

عذابـــه فـــيك عـــذب وبعـــده فـــيك قـــرب
وأنـــت عـــندي كـــروحي بـــل أنـــت مـــنها أحـــب
حســـبي مـــن الحـــب أنـــي لمـــا تحـــب أحـــبُّ(٥٩)

ودونك أحد المستعذبين للألم الراضين بالأقدار.

عن هشام بن عروة أن أباه خرج إلى الوليد بن عبد الملك حتى إذا كان بوادي القرى وجد في رجله شيئًا، فظهرت به قرحة ثم ترقى به الوجع، وقدم على الوليد وهو في محمل، فقال: يا أبا عبد الله اقطعها، قال: دونك فدعا له الطبيب، وقال: اشرب المرقد ـ وهو شيء يشرب فينام من يشربه ويرقد ـ فلم يفعل فقطعها من نصف الساق، فما زاد أن يقول: حسٌّ حسٌّ، فقال الوليد: ما رأيت شيخاً قط أصبر من هذا. وأصيب عروة بابنه محمد في ذلك السفر، ركضته بغلة في اصطبل فلم يسمع منه في ذلك كلمة. فلما كان بوادي القرى قال: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ۝٦٢﴾

(٥٩) "نور الاقتباس" في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس، لابن رجب ص (٩٦).

﴿الكهف﴾ اللهم كان لي بنون سبعة، فأخذت واحداً وأبقيت ستة، وكان لي أطراف أربعة فأخذت طرفاً وأبقيت ثلاثة، ولئن ابتليت لقد عافيت، ولئن أخذت لقد أبقيت[٦٠].

أي قوم كان هؤلاء؟!! ما أصبرهم!! وما أجمل ما ذاقوه من برد الرضا وسعادة الإيمان.

لا تعرضن بذكرنا في ذكرهم ليس السليم إذا مشى كالمقعد

٧ـ صبر وثبات:

عن شرحبيل: أن الأسود العنسي تنبأ باليمن، فبعث إلى أبي مسلم الخولاني، فأتاه بنار عظيمة، ثم إنه ألقى أبا مسلم فيها، فلم تضره، فقيل للأسود: إن لم تنف هذا عنك أفسد عليك من اتبعك. فأمره بالرحيل فقدم المدينة، فأناخ راحلته، ودخل المسجد يصلي، فبصر به عمر ـ رضي الله عنه ـ، فقام إليه، فقال: ممن الرجل؟ قال: من اليمن. قال: ما فعل الذي حرقه الكذاب بالنار؟ قال: ذاك عبدالله بن ثُوَب. قال: نشدتك بالله. أنت هو؟ قال:

---

(٦٠) "الحلية" لأبي نعيم (١٧٩/٢)، و"سير أعلام النبلاء" للذهبي (٤٣١/٤، ٤٣٠).

اللهم نعم. فاعتنقه عمر وبكى، ثم ذهب به حتى أجلسه فيما بينه وبين الصديق. فقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمة محمد من صنع به كما صنع بإبراهيم الخليل(٦١).

ما الذي صبره؟! إنه الإيمان، من الذي نجاه؟! إنه الله، ألقى في قلبه صبرًا وثباتًا وقوة في الحق فذاق حلاوة الإيمان.

وإن تعجب مما سبق فعجبك من هذا الإمام وما صنع الله به أشد، إنه الإمام القدوة الشهيد، أبو بكر محمد بن أحمد بن سهل الرملي، ويعرف بابن النابلسي.

قال أبو ذر الحافظ: سَجَنَه بنو عبيد وصلبوه على السنة، سمعت الدارقطني يذكره، ويبكي، ويقول: كان يقول وهو يسلخ: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ۝٥٨﴾ ﴿الإسراء﴾.

قال أبو الفرج بن الجوزي: أقام جوهر القائد لأبي تميم صاحب مصر أبا بكر النابلسي، وكان ينزل الأكواخ، فقال له: بلغنا أنك قلت: إذا كان مع الرجل عشرة أسهم، وجب أن يرمي في الروم

---

(٦١) "سير أعلام النبلاء" (٤/٩،٨).

سهمًا، وفينا تسعة، قال: ما قلت هذا، بل قلت: إذا كان معه عشرة أسهم، وجب أن يرميكم بتسعة، وأن يرمي العاشر فيكم أيضا، فإنكم غيرتم الملة، وقتلتم الصالحين، وادعيتم نور الإلهية، فشهره ثم ضربه، ثم أمر يهوديًا فسلخة.

قال ابن الأكفاني: توفي العبد الصالح الزاهد أبو بكر بن النابلسي، كان يرى قتال المغاربة، هرب من الرملة إلى دمشق، فأخذه متوليها أبو محمود الكتامي، وجعله في قفص خشب، وأرسله إلى مصر، فلما وصل قالوا: أنت القائل: لو أن معي عشرة أسهم. . . ، وذكر القصة، فسلخ وحشي تبناً وصلب.

قال معمر بن أحمد بن زياد الصوفي: أخبرني الثقة، أن أبا بكر سلخ من مفرق رأسه حتى بلغ الوجه، فكان يذكر الله ويصبر حتى بلغ الصدر فرحمه السلاخ، فوكزه بالسكين موضع قلبه فقضى عليه. وأخبرني الثقة أنه كان إمامًا في الحديث والفقه، صائم الدهر، كبير الصولة عند العامة والخاصة، ولما سلخ كان يسمع من جسده قراءة القرآن، فغلب المغربي بالشام، وأظهر المذهب الرديء، وأبطل التراويح والضحى، وأمر بالقنوت في الظهر، وقتل النابلسي سنة ثلاث. وكان نبيلاً رئيس الرملة، فهرب، فأخذ من دمشق.

وقيل: قال شريف ممن يعانده لما قدم مصر: الحمد لله على سلامتك، قال: الحمد لله على سلامة ديني، وسلامة دنياك.

قلت: لا يوصف ما قلب هؤلاء العبيدية الدين ظهراً لبطن، واستولوا على المغرب، ثم على مصر والشام، وسبوا الصحابة.

حكى ابن السعساع المصري، أنه رأى في النوم أبا بكر بن النابلسي بعدما صلب وهو في أحسن هيئة، فقال: ما فعل الله بك؟ فقال:

حباني مالكي بدوام عزٍّ ... وواعدني بقرب الانتصار

وقربني وأدناني إليه ... وقال: انعم بعيش في جواري

سلام الله على تلك الأرواح، ورحم الله هذه الأجساد لم يبق منها إلا أخبار وآثار.

٨ـ حلاوة الإيمان والجهاد في سبيل الله:

عن مولى لآل خالد بن الوليد أن خالداً قال: ما من ليلة يهدى إليَّ فيها عروس أنا لها محب أحبُّ إليَّ من ليلة شديدة البرد كثيرة الجليد في سرية أُصبِّح فيها العدو(٦٢).

كيف حصل هذا؟ لقد ذاق طعم الإيمان.

لما حضرت خالداً الوفاة، قال: لقد طلبت القتل مظانَّهُ فلم يقدَّر لي إلا أن أموت على فراشي، وما من عملي شيء أرجى عندي بعد التوحيد من ليلة بتها وأنا متترس، والسماء تهلني ننتظر الصبح حتى نغير على الكفار. ثم قال: إذا مت، فانظروا إلى سلاحي وفرسي، فاجعلوه عدة في سبيل الله(٦٣).

عن أبي الزناد: أن خالد بن الوليد لما احتضر بكى وقال: لقيت كذا وكذا زحفًا، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو رمية بسهم، وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير فلا

---

(٦٢) "سير أعلام النبلاء" للذهبي (١/٣٧٥).

(٦٣) السابق (١/٣٨١).

نامت أعين الجبناء[٦٤].

والآن وقد سمعت وصف القوم وأحضرت ذهنك لشأنهم العجيب وخطرهم الجليل فإن وجدت من نفسك حركة وهمة إلى التشبه بهم فاحمد الله وادخل، فالطريق واضح والباب مفتوح:

إذا أعجبتك خصالُ امرئ ... فكُنه يكن مثل ما يعجبك

فليس على الجود والمكرمات ... إذا جئتها حاجبٌ يحجبك

فنبأ القوم عجيب، وأمرهم خفي إلا على من له مشاركة مع القوم[٦٥].

فحيّهلا إن كنت ذا همة فقد ... حدا بك حادي الشوق فاطو المراحلا

وقل لمنادي حبهم ورضاهم ... إذا ما دعا: "لبيك" ألفاً كواملا[٦٦]

---

(٦٤) السابق (٣٨٢/١)، والبعير أي: الحمار.

(٦٥) "طريق الهجرتين" لابن القيم ص(٢٥٠) بتصرف.

(٦٦) "مدارج السالكين" لابن القيم (٧/٣).

فهـــــرس الموضوعات

بين يدي الرسالة	٣
إلقاء الضوء على الحديث الشريف	٨
أولاً: الأسباب المانعة من وجدان حلاوة الإيمان	٩
١ـ عدم التأمل في حقيقة الإيمان	٩
حقيقة الإيمان	١٠
٢ـ اتخاذ العبادة عادة	١٥
٣ـ علل القلوب وأمراضها	١٦
مظاهر فقدان حلاوة الإيمان	١٩
أولاً: تقديم محابّ النفوس على محاب الله تعالى	٢٠
ثانياً: غلبة النظرة المادية على القلب	٢١
ثالثًا: التعلق بالمعصية والحنين إليها	٢٢
أسباب وجود حلاوة الإيمان	٢٣
السبب الأول لحلاوة الإيمان	٢٤
تقديم محابّ الله ورسوله على محابّ النفوس	٢٤
السبب الثاني لحلاوة الإيمان	٢٨

غلبة النظرة الإيمانية على القلب	٢٨
السبب الثالث لحلاوة الإيمان	٢٩
كراهية المعاصي وعدم التعلق بها	٢٩
فصل في أقوال السلف في حلاوة الإيمان	٣١
جنة الدنيا	٣١
١ـ حلاوة الإيمان والاجتهاد في الطاعة	٣٧
٢ـ حلاوة الإيمان عند الصلاة وقراءة القرآن	٣٩
٣ـ حلاوة الإيمان وطلب العلم الشرعي	٤٧
٤ـ حلاوة الإيمان والصدقة	٤٩
٥ـ حلاوة الإيمان والزهد في الدنيا	٥١
٦ـ عند المصائب يتبين المؤمنون	٥١
٧ـ صبر وثبات	٥٥
٨ـ حلاوة الإيمان والجهاد في سبيل الله	٥٩
فهرس الموضوعات	٦١

سيصدر قريبًا بمشيئة الله تعالى

سلسلة صفات يحبها الله ورسوله

لفضيلة الدكتور

عبد الحميد هنداوى

الأستاذ بكلية دار العلوم

(١٩) البـــر

دار الهدى

ت : ٣٨٣٧٧٧٠

سيصدر قريبًا بمشيئة الله تعالى

سلسلة صفات يحبها الله ورسوله

لفضيلة الدكتور

عبد الحميد هنداوى

الأستاذ بكلية دار العلوم

(٢٠) الثبات

دار الهدى

ت : ٣٨٣٧٧٧٠